

اما فيما يختص بالرسم والتصوير فالصينيون يميلون تصوير الخيال والضوء والظلمة
والظواهر انهم لا يعرفون سادى الاظلال اذ ان تصاورهم تخط في قدرهم . وغالب هذه
التصاور لا يظهر بها سوى اليدين والوجه وما بقي من الجسد يستتر بغاية الاعناء تحريم
الدمري عندهم ويروى انه من خمسين سنة دخل احد مينهم سفينة فرنسوية على مقدمها
تمثال مرتون ابن نبتون معبود البحر وهو معرى فعارض البوليس الصيني دخول السفينة
ولكن الربان غطى التمثال في الحال حيا بالسلام وسمعا للخصام
هذا طرف مما وصلت اليه بلاد الصين قبل التاريخ المسيحي وبتة اقتطنته من اشهر
الكتب والرسائل الموضوعه في هذا المبحث

اصل هنود اميركا

لم يختلف الكتاب في اصل شعب من الشعوب كما اختلفوا في اصل هنود اميركا .
وقد كثرت علينا مسائل السائلين عن اصلهم وكنا نوجهها من وقت الى آخر ان
نجيب عنها جوابا متضبا على امل ان ننشئ مقالة ضافية في هذا الموضوع نضفيها زينة
ما قاله الباحثون فيو . الا انا وقتنا في هذه الاثناء على مقالة وافية بالغرض لاحد
العلماء الاميركيين الذين يوثق بهم فاقطننا منها ما يأتي
لما اكتشف الاوربيون اميركا وجدوها مأهولة بشعوب مختلفة نعتقد انها وجدت
فيها منذ الازل ولا تعرف لها وطنا غيرها . ومفاد الاخبار التي بلغت اوربا حينئذ
عن هؤلاء الشعوب انهم متوحشون يعيشون على الجذور والبقول وما بصطادونه من
الوحوش . وم في حروب متواصلة بعضهم مع بعض . وحقيقة الامر انهم كانوا ارقى من كل
الشعوب المتوحشة وبعضهم كان مائرا في الطريق الموصل الى العمران . فكانوا يعرفون
الغزل والحياكة والصباغة ويجوكون الانسجة من الياق النبات وصرف المواشي وربوا
الطيور . واستخرجون النحاس ويطرقونه ويصوغون منه الحلى ويصنعون الادوات .
واهل المكسيك والبيرو منهم كانوا يستخرجون الذهب والفضة والنحاس وقال البعض
انهم كانوا يصنعون البرنز ايضا من النحاس والتصدير
وكان الكثير منهم المام بالنلاحة وم الذين ربوا الذرة الهندية وكانوا يعتمدون

عليها في معيشتهم كما يعتمد عليها الآن جم كبير من بني البشر ومنهم تعلم الاوريون
زراعة البطاطا والبنج

وبعضهم كانوا يبنون بيوتهم من الواح الخشب او من الحجارة المنخورة وطول بعض
بيوتهم الخشبية مثلنا قدم فاكتر وعرضه ثلاثون قدماً. وقد ادهشت مبانيهم الحجرية كل
الذين شاهدوها بانساعها وكبر حجارتها وبديع نقشها وزخرفتها

وكانوا قد اتصلوا الى استخدام الحيوان لنقل امتعهم فبعضهم استعمل الكلاب لهذا
الغاية وبعضهم استعمل جيراناً كالجمل اسمه اللاما. ولو تأخر اكتشاف اميركا بضعه
قرون لاتصل اهلها الى استخدام الجماليس لهذه الغاية

وقد اتدى بعضهم الى نوع من الكتابة الصورية قبل اكتشاف كوليس وكانوا
يكتبون بها الحوادث . وبظن البعض ان اهالي المكسيك كانوا يستعملون نوعاً من
الكتابة يشبه الكتابة بالحروف الهجائية

وكان عندهم نوع من الحكومة المنتظمة ورؤساء يتولون امرم بالوراثة او بالانتخاب
وكثيراً ما كانت القبائل المتجاورة تتعاضد على الهجوم والدفاع . وكان عندهم تفرع
منتظمة مناسبة لاجوالهم ومن يغالبها يقاص قصاصاً صارماً وبذلك اتفقت من بينهم
السرقة وشروخ كثيرة ما هو شائع عند غيرهم من الشعوب

أما ادبايهم فكانت مختلفة وشمايرها محكمة ولهم كثيرة وكان لخدمة الدين عندهم
مقام رفيع وسطة عظيمة وكلمة نافذة والارحح ان ارتقاءهم في معتقداتهم الدينية كان
اعظم منه في غيرها

أما الطب فكان اعتمادهم فيه على تأثير الوم في النفوس لانهم كانوا يعتقدون ان
كل الامراض من فعل الارواح الشريرة او من فعل السحر . وكانوا يستعملون بعض
الحشائش والذقاقير الطيبة ولكنهم لم يكونوا يعتمدون عليها الا كواسطة اضافية للعلاج .
وكثيراً ما كان الطيب نفسه يستعمل هذه العقاقير بدل المريض لكي يقوى على إخراج
الروح الشرير الذي هو علة المرض في زعمهم . وكانوا يستدلون على فعل العلاج من
اسم او من شكله فالزهر المعروف بندهم بعين الخزال كانوا يستعملونه غسولاً لوجع
العيين . والنبات المتين المجذور يستعملون غلاية جذوره لتقوية الشعر والنبات الذي
تلصق بزوره بالياب او يجلود الحيوانات يستعملون غلاية لتقوية الذاكرة اي لالصاق
المعاني في النفوس

هذه صورة عمارة لحالة هنود اميركا حين اكتشافها . وقد ذهب بعض الذين بحثوا
 في احوال هؤلاء الهنود من ذلك الحين الى الآن انهم كانوا آخذين في الارتفاع ولو
 أهلوا لبلغوا في ارتفاعهم ما بلغته الشعوب الاسيوية والاوربية . وذهب غيرهم الى ان
 هؤلاء الهنود كانوا قد بلغوا اوج ارتفاعهم وغاية ما يمكن استعدادهم الفطري ان يوصلهم
 اليه . ونظر غيرهم وقال انهم شعوب منخطة من شعوب اخرى ارقى منها . وكل فريق
 ادلة كثيرة على تأييد مذهبه إلا ان جمهور الباحثين يميل الآن الى المذهب الاول
 وعدم ان عمران هنود اميركا تأخر عن عمران غيرهم من الشعوب اما لانهم دخلوا بلدان
 العمران بعدما اولاً ان احوال بلادهم اقل مناسبة لتقدمهم اولاً ان استعدادهم الفطري اقل
 من استعداد غيرهم ولكن عمرانهم الذي وجد في حين اكتشاف الوريون اميركا كانت
 في كل اصول العمران النام ولو أهلوا وقتاً كافياً لارتقى كما ارتقى عمران غيرهم من الشعوب
 وحالما اكتشف الوريون اميركا اخذوا يدعوا اليهم من هم سكانها . ومن ابن انوا
 اليها . اما الهنود فيجيبون المسألة الاولى قائلين اننا بشر . وكل قبائلهم مجمعة على ذلك
 وان اختلفت في طرق التعبير فبعضهم يقول اننا بشر وبعضهم اننا بشر صرف وبعضهم
 اننا بشر البشر وهلم جرا . ويجيبون المسألة الثانية على صور شتى فبعضهم يقول ان
 اصلهم من البلاد التي هم فيها وبعضهم ان اصلهم من الجبال او من الآكام . ومنهم قبيلة
 تدعي انها تولدت من اكمة وفي هذه الاكمة ثفرة كبيرة فيقولون انها نثرت من نفسها ثفراً
 الخالق ليدها فوجد ان جانباً كبيراً من الثفلة قد خرج منها . وبعض قبائلهم يزعم انهم
 خلقوا من الرماد وبعضهم يقول ان الشمس امهم والثرى ابوم وبعضهم يقول انهم خلقوا
 من التراب الاحمر . ويقول غيرهم ان الوحوش اقتربت بكوكب سقط من السماء فوالدت اسلافهم .
 ومما يمكن من هذه الاقوال فهي ليست دون اقوال اليونان وبعض الشعوب الاسيوية
 اما كوليس والذين افتنوا خطوتهم في عصره فظنوا انهم بلغوا بلاد الهند من اقصاها
 شرقاً وجنوباً ان امالي اميركا هم المنزود بعينهم ولذلك سموهم باسم الهنود وبقي هذا الاسم
 مطلقاً عليهم الى يومنا هذا . ثم لما علم ان اميركا بلاد جديدة مستقلة تمام الاستقلال عن
 بلاد الهند جعل الناس يسمونهم عن اصل سكانها فذهب اكثرهم الى انهم هم العشرة
 الاسباط من اسباط بني اسرائيل الذين اجلوا عن بلادهم على ما في التوراة . والآن
 بعضهم كتاباً كبيراً في هذا الموضوع منذ اكثر من مئة سنة عززه بكثير من الادلة
 ما بين بني اسرائيل وهنود اميركا من المشابهة في العنصر الدينية والعوائد والاحكام

واللغة والاحاديث. ولم يزل هذا المذهب شائعاً حتى الآن. وذهب كثيرون مذاهب
أخرى متباينة حتى عزي اصل هنود اميركا الى كل شعب من شعوب اوربا واسيا
وافريقية كالفينيين والفرطاجيين والسكندناويين والارلنديين والابيلنديين
والفرنلنديين واهالي الهند والصين واليابان وملتا واستراليا والتار ومصر. ولكل
مذهب من هذه المذاهب ادلة تؤيده ولكنها ليست كافية لاثباته ونفي ما سواه
ومثل من يكتفي بها مثل من استدل على ان اليونان كانوا يحنقون المرأة وهمنونها
اعتماداً على بضعة آيات من اشعارهم وغفل عن آيات اخرى أكثر منها تثبت انهم كانوا
يكرمونها ويرفعون مقامها

اما العلماء الراضون في العلم فحاولوا حل هذه المألة بتخص الصنات الطبيعية
المقومة لاصناف البشر وهي لون الجلد والشعر والعيون وشكل الشعر والرأس واتساع
الاجحمة وبناء اللثة. اما اللون فقد اتضح انه ركن ضعيف لا يعتمد عليه وحدة
في فصل اصناف الناس لانه قد يختلف كثيراً في الصنف الواحد بل في الشعب
الواحد بل في القبايلة الواحدة بل في العائلة الواحدة بل في الشخص الواحد بحسب
اختلاف سنه. فاطفال هنود اميركا بيض الالوان مثل اطفال الجنس النوقاسي ونشعر
لونهم مع تقدمهم في السن وشعرهم يشقر لا اسود واوان البالغين منهم يختلف ولا يندر
البيض بينهم كما لا يندر السود. وشكل الشعر الظاهر بين كوزو سبطاً او جمعاً او
مفلاً لا يسهل شكل ساق كل شعرة منه فالشعر السبط اسطواني الساق والمفلى بيضياً او
مفرطحاً وبين هذين الطرفين درجات كثيرة يتمذر فصلها بعضها عن بعض واتخاذها
حكماً في فصل اصناف الناس

والاستدلال بشكل الرأس واتساع الاجحمة لم يثبت حتى الآن ثبوتاً يفي كل ريب
لان آلات القياس غير واقية بالعرض. والقياس نفسه عمر جداً. وحتى الآن لم يفتق
العلماء على عدد اصناف الناس فيبعضهم جعل الناس صنفاً واحداً وبعضهم صنفتين
وبعضهم ثلاثة وبعضهم اربعة وبعضهم خمسة وبعضهم ستة وبعضهم سبعة وبعضهم
سنة عشر وبعضهم ثلاثة وستين. ونتيجة ذلك كولو ان الحكم على صنف الهنود من
لونهم وشعرهم وحاجهم لا يعول عليه كما يات

وما يقال في الادلة الطبيعية يقال في الدليل اللغوي لان علم اللغات ايسر علم
اشتقاق اللغات بعضها من بعض وتبنيها بعضها الى بعض حديث النشأة لم يمس عليه

سَتَى الآن أكثر من خمسين سنة ولذلك لا يستطاع ان يتكفل بفصل اصناف الناس بعضها عن بعض من البحث في لغاتها . ولغات هنود اميركا مرتبة اكثر مما يظن وبعضها يقابل باللغة اليونانية على سبيلها وانواعها . وفيها كلمات تكفي للتصير عن كل المطالب والمطاني التي يمكن ان تخطر على بال اصحابها . ولا يوجد شيء في اكثر اللغات ارتفاعاً الا وبوجد له جرثومة في لغات هنود اميركا . وتمتاز هذه اللغات في كونها قابلية للارتفاع والانواع الى ما لا نهاية له . فكل ما يمكن ان يزداد في اللغات الاوربية بنقدم العلوم والفنون يمكن ان يزداد بسهولة في لغات هنود اميركا

ولترب هذه اللغات من البساطة النظرية يمكن تفحصها وتحليلها بسهولة . وقد عني بعض العلماء في تفحص لغات الهنود الذين كانوا شمالي بلاد المكسيك وقت اكتشافها وردها الى اصولها فوجدوا انه يمكن ردها كلها الى ثمان وخمسين لغة تحتها ثلثية لهجة متشعبة . وهذا هو الحد الاخير الذي وصل اليه علم اللغات من هذا القبيل اي انه ارجع لغات هؤلاء الهنود المختلفة الى ثمان وخمسين لغة مستقلة . وهو لا يدعي ان هذا هو الحد الاخير الذي يمكن ان ترجع اليه هذه اللغات بل ان هذا هو الحد الاخير الذي يمكن ارجاعها اليه حتى سنة ١٨٦٠ ومن يعلم ما يأتي به القدر فقد يتسع نطاق علم اللغات في بضع سنين فيتمكن اربابها من ارجاع هذه اللغات الى اصل واحد او بضعة اصول ولكنه ليس من العلم الحكم في ذلك قبل وقته

هنا ينتهي مجال العلم ويتبدى مجال الآراء والمذاهب وعند العلماء مذهبان شهيبران الاول ان لغات البشر متشابهة وهي كلها من اصل واحد وهذا الاصل قد تفرع وتوسع فتولدت منه لغات البشر المختلفة فإ اللغات سوى لهجات من لغة واحدة ولكنها بعدت عن الاصل كثيراً وتغيرت بالزيادة والنقصان والنحت والحذف حتى بعدت بعضها عن بعض هذا البعد الشاسع وصار يتعذر ردها بعضها الى بعض لفق حلقا كثيرة من بينها . والمذهب الثاني انه كان للغات البشر اصول مختلفة بحسب عدد طوائفها وانه مع الزمان اقتربت هذه اللغات بعضها من بعض فتمازجت وتشابهت بتمازج اهلها وتشابههم

وهذان المذهبان على اختلافهما العظيم يدلان كلاهما على ان اصل اللغات قديم جداً لا يمكن معرفته معرفة علمية يقينية للحكم منه على صحة احدهما وفساد الآخر . ولكل منهما انصار واتباع وادلة كثيرة لتأييده . وعند الكاتب ان المذهب الثاني اقرب الى الصحة او انه اقدر على حل المشكلات من الاول

وَيُسْتَدَلُّ من علم آثار البشر (الاركيولوجيا) ان الانسان سكن اميركا من عصور
 قديمة جداً. وكلما توغلنا في القدم رأينا آثاره أكثر خشونة وأقل انقائاً. ولا دليل يدل
 على انه لم يسكن هذه القارة قبل ان تعلم النطق بالكلام كما انه لا دليل على ان لغات
 اميركا مشتقة من لغات اسيا. ولا على ان البشر لم ينتقلوا من اميركا الى اسيا بدلاً من
 انتقالهم من اسيا الى اميركا وإنما ثبت ان هنود اميركا انتقلوا اليها من اسيا أو أوروبا
 أو أفريقيا فيكون انتقالهم منذ زمان متوغل في القدم حتى ان اللغات الاصلية التي
 كان يتكلم بها اسلافهم لم يبق لها اثر ظاهر في لغاتهم الحالية
 والمذهب الثاني اي تعدد اصول اللغات يستلزم انه لم يكن للناس لغة واحدة لما
 تفرقوا على وجه الارض ولا لغات مشتقة من لغة واحدة. وعند الكاتب ان لغاتهم
 تولدت بعد تفرقهم. ولا نرى مانعاً علمياً يمنع ما جاء في التوراة من ان لغات البشر
 تلبست واختلقت بامر تعالى وكان ذلك داعياً لتفرقهم
 وجملة القول ان هنود اميركا قد وجدوا فيها منذ زمان متوغل في القدم وانه لا
 يمكننا حتى الآن معرفة اصلهم بكل ما لدينا من الأدلة الطبيعية واللغوية

علاج التبانوس والدفثيريا

اكتشاف جديد

سبق سنة ١٨٩٠ اشهر الصين في تاريخ صناعة الطب . وفيما نحن نظف انما قد
 اتوفت شهرها باكتشاف الدكتور كوخ لعلاج التدرن اذا بالبحراند الالمانية وفيها ان
 اثنين من الاطباء المشتغلين في معملو اكتشفا طريقة للرعاية من داء التبانوس وفاء الدفثيريا
 وشفاهما . والمظنون انه يمكن استعمال هذه الطريقة لعلاج غير هذين الدائمين من الادواء المعدية
 واغرب ما في هذه الطريقة ان دم من يوقى بها من داء الدفثيريا يصير فيه قوة على
 ابطال فعل السم الذي يتكون من ميكروب هذا الداء . وتصير هذه القوة في مصل الدم
 ايضاً حتى يمكن استعماله لعلاج الحيوانات المصابة بالدفثيريا . وما قيل فيها ينال في
 التبانوس ايضاً

ولسنا نخوض في تاريخ هذا الاكتشاف ومقدماته فانه كما اكثر المكتشفات العلمية نابع